

«سواقى القلوب» للكاتبة العراقية انعام كجه جي؛

ازماتنا وكبواتنا على طاولة غريبة في بيت لم ينتم اليها

ابراهيم سبتي *

يعين السرد الكاتب على استحضر مفاسل روايته يدق اللغة مستخدماً مساحات واسعة للسماح للافتكار الانسانية بأخذ مكان مستغرد على طول صفحات الروي، وبالتالي يصبح تلك الافكار غير مفيدة بترتيبها كلامية كما في القصة القصيرة.

في رواية (سواقى القلوب)، تطرح الكاتبة انعام كجه جي اسئلة في المنفى والوطن وما بينهما..

اسئلة الاغتراب النفسي والخسارات.. اسئلة الرجولة المسفوحة في الحروب.. ولكن الكاتبة تصر على الدخول في المذاخير الحمر وترفع راية الجسارة والمكاشفات وخفايا الازقة الظلمانية، يسرد عفوي وبمهارة، قشمة غربية ووطن وما بينهما.

وهل تنفع الغربة وطنا بديلاً؟
الراوي يقول في ص 27:

تخلع عنا الغربة اهلناي وتكسوننا باهل من غير ممانا واخوة لم تلبهم امهاتنا. تحترق الغربة السنننا المزروعة باللغه الام وتشتغل لغات جديدة نجاهد لكي نتفوه بها.

تاخذ منا الغربة ماضيها وتكبسه، مثلما تكبس قطع الخبار والجزر وتوم العجم، في خبايت النسيان، وتترك للروح اللاذعة ان تهب علينا في احيان غير معروفة، فنلتفت بحسنا، كان عن شلو ناقص من اشلائنا.

تدخل الكاتبة في عالم ذكري من خلال الراوي، وتنتزع مكنونات الذاكرة ونزواته وتطلعته، بجوح جريء، لم نتعوده عند كاتبة اخرى.

انساب الاحداث في (سواقى القلوب) ممتازة بين الوثائقية والشفوية من خلال استحضار احداث بعيدة الوقوع، كمنذجة الارمن ومن ثم الحرب مع ايران وسقوط حائط بربل وانهايار الاشتراكية وحرب الكويت وتضع الدولة السوفيتية، وكانت الاحداث تمر عبر انشائات الشخصيات.. كاشائنا خاتون الناجية من مذبحه الارمن والموودة في الموصل.. الطالب السياسي الذي قطعت عنه الحكومة النفقات ..



عنص الزيتون، ص 153 - سواقى القلوب / رواية للكاتبة العراقية انعام كجه جي المقيمة في باريس - صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 2005

السياسي الذي يعيش على ذكريات الحب في بغداده واخيرا الجندي ساري الذي تحول الى فتاة جراحية في فرنسا. كل منهم سح ما استطاع على مائدة الاصدقاء في بيت الخاتون، وكان الرواية تريد بنا ان تكون على يقين تام بان كل ازماتنا وكبواتنا وارهصاصنا، تقدم على طاولة غريبة، في بيت لم ينتم اليها.. الخاتون ارمينية الاصل ولكنها عاشت في الموصل وتزوجت فيها كونتا فرنسا عالما بالآثار.

اعطت الرواية مفاتيح لمخالبك ظلت عصية على البعض ممن اقتحموا عالم الرواية الكبير.. العالم المليء بالاوهامات والمزاجات واختيار الكرامات والجرأة والبوح الخاص.. عالم انعام كجه جي، عالم الذكورة المهزومة على طرقات باريس والمفجوعة حد الجنون بالهزائم الداخلية.. فكل شخصية في الرواية كان لها عالمها المتفرد الذي لا يشببه عالم الآخرين القريبين.. عالم الفجوات والحب الخاسر والاعتداءات الجسدية والقتل المروع والابادات.. هكذا كانت (سواقى القلوب) تمتحن ذاكرتنا الطرية التي لم تنس ما صار وما حل بالبلاد التي احبها كل من عاش فيها وكل من هرب مجبراً وهو يبحث في اصقاع الارض عن سقف يحميه وعن باب لا يطرُق في ليل مرعب..

لقد عززت الكاتبة روايتها، بقصة الجندي ساري الذي تحول الى (سارة) بعملية في باريس، الجندي الذي انتقل من عالم الحروب والقتل الى عالم باريس المنهش، جالبا العار لعائلته.. كما تقول امه وهي تهافت الراوي.. التي انتظرت طويلاً ان يكر الولد ويصير رجلاً يعتمد عليه في عالم البيت الاتوني، لكنه كان يتصرف كفتاة في البيت والشارع.. الراوي، تكلف برعايته امتثالاً لطلب امه التي كانت على حب قديم معه..

هذا ساري الان فتاة يغنج الجميلات، انها سارة، توزع الايتسامات والنظرات الى كل من يصادفها هي تثبت انوثتها المتوارية منذ زمن بعيد تحت ثياب الجندي ساري، ولا تدري ان حتما سيكون هناك بعيداً عن العائلة والجنود والبلاد التي تحملت نفقات العملية.. ماتت سارة خنقا، وجدوا جثتها في احدى الغابات.. وهكذا تنتهي سارة

الان البلاد التي جاؤوا اليها بجثمان ساري (سارة) كانت دعاء الخاتون:

احفظوا العراق الذي تعرفون في بطون اعينكم، لانكم ستكثرون الشهود الاحياء وتاقي بذر الخبز بعد الخراب. انتم الطائر الذي سيعدو الي الفلك، بعد الطوفان، حملا

كل الأسماء في لبنان جميلة

راجي بطحيش*

■ كيف يتحول طفل في علة الصيف 2006 وفي أوجهها أعني... من مشروع فرح وحرية وشواطئ ونوم متأخر وأمل مضاعف مدغم بأحلام اختيارية بعيدة عن الضياع الذي يسود عالم الكبار ويستشري فيه نهشاً... كيف يتحول الى مجموعة أشلاء غير منطقية مجبولة بتراب الطرق التي كانت قلبها بأيام سبلاً افتراضياً للهروب من القبط الذي يسكن قلب المدن الشرقية في مثل هذا الوقت من السنة سيلاً افتراضياً الى مدينة ملاهي أو مسبح... الثالث الأول من العلة... هذه الفترة الأمنة الأكيدة التي لا يهددها بدء العذ التنزلي مع أنه آت... آت... الثالث الأول... حين تنغمس البراءة في انطلاقها العفوي كل على طريقته... والان على طريقة الشرق الأوسط الجديد... أنزع غضاً ملقاء هنا وهناك.

الهي النظري ذلك الذي من المتوقع... أو بالأحرى ما أتوقعه في أكثر حالاتي سذاجة أو عجزاً أو ضياعاً أن يحيي هذا الجانب الشرقي من المتوسط من هذه الخيانة الغير محتملة للثالث الأول من العلة الصيفية بخراء بوش ورميها أشلاً متناثرة بين القاذورات وأغقاب السجائر على الطريق بين صيدا وصور أو لا أعرف أين... فكل الأسماء في لبنان جميلة... وفي مكانها ولم يفتعلها أحد مستندا على هوس توراتي حلم حياتنا... ولا زال.

أسماء جميلة وفوقها جسور تتداعى مجبولة بأحشاء طفل... حتى مكعبات الليغو تفكك باحترام أكثر وأنظف وبرهافة حس بلاستيكية أكثر. بيروت.. صيدا.. صور.. مرجعيون... شطورة... رحلة... الضاحية... البقاع الجنوبي... الشمالي لا يهم... الدامور... الناعمة... طريق الشام... لا يهم... فكل الطرقات في لبنان جميلة وكذلك الأطفال النائمين على جنباتها تحسبا من عذ تنزلي لنهاية فرصة صيفية لن تأتي أبداً

وثالث أول سرمدي سيطول ويطول... جسر طويسل يربط بيروت بزرحة ودمشق... جسر طويل وعصري هو الأعلى في الشرق الأوسط الجديد... مغفور... تتدلى أطرافه تحديداً في منطقة أسمها الميرج... الميرج أسم جميل بسيط، طبيعي، منطقي هو نتاج عن خميرة الالاف الستين من التسلسل الأنتروبولوجي الحقيقي... وربما تكون هذه هي المشكلة الجوهرية التي سببت كل شيء... من زمن بعيد... الأسماء الجميلة في لبنان مقابل أسماء الغيتو الكرتوني الذي لا يؤدي لأي مكان... أي مكان... سوى بطرق مسمدة بلحم الأطفال... وها أنا أقف هنا للمرة الألف كأبله مغرماً تماماً على الطرف الخطأ من المعركة... الطرف الخاطيء من الجبهة.

* كاتب من فلسطين الناصرة 7/21/2006

شموس تموز

وساحه رعد ورعد ورعد..

عائقيه يا كل السنابل
يا رجوحة الأرحام
من حرمون الى بحر صور،
يا قبلة الأرواح المقدس
يا فتاة حيرام الثائرة
من مشارق ايل
الى مغارب عشثار،
غداً تركع الصائمين
على وعد القيامة

غداً ترزق الملامح
عروس النياشين
خميز المواسم
وجرة الانتصار،
غداً تركع الهياكل
وترقص التيجان
في مارون وصريفا
ويعيق الغار في يارون
وينت جبيل،
وتعد طرحتك
البيضاء،
الى القوزح ورميش وعين ايل،
أيتها العروس الطالعة
من شتول الاس،
من مروايا الأسفار

تتوالدين كاللحظات
ترظلين كالغائتات
تعشقين كالذائبات
في حب الاوطان...

غداً يخطفك الفارس الأبيض
الى حيث لا شريط...
والبوابات عبور كبير
والمسافات تحضن الأشبار
خطوة خطوة
وتلتئم التراب
حبة، حبة،
وانت تتجبين وتتجبين
فيفرح الإله
وينثر تموز شمس
الجنوب
فوق سطوح سافرة
ليذوب... صقيع هذا
العالم.

أنطوان القزّي *

■ رعدوا ظلالمهم مواقيت صلاة!
ترغل رذاذ الأحداق
على سطوح عيترون،
تلملم متون الليل،
ترصفها مدامم اجساد،
وتجليها رياحين مروحين
طيناً ود... ماء
تنفخ الخلق من عرس قانا
شهيداً شهيداً
من السماء.. والى السماء يعود،

أخبريهم سطوح عيتا
يا ابنة الجليل.. الاعلى
أن القهر توراي
واستبسلت محادل السطوح
وارتوت اجران الرواة
ندى لأسحار جديدة،
ما عادت خراف الجنوب
نعاج الأسي،
بل عنادل توصد
زمن السحاب
وتغرزل أثواب الحرية،

هاتي ثغور الأطفال
بسمه بسمه،
هاتي أعناق الاقاضي
وردة وردة
وردي المناديل
عن وجوه تهزم الشموس،
وعيون توترق الأقباس.
قومي تنازل الذئاب
ثوبك الأزمنة السوداء
تسطر الامجاد
نوسم الحدود نجمة نجمة،
نرويها، قطرة قطرة.
أثمرت مواسمنا
فاحصدي الغلال
وازعي الأبطال
عند التلال
وما بعد التلال..

حطاب المساء عاد،
هليل يا أنثى الجنوب
حصانة قوس قزح
سيفه الوميض

ولا يعرف قوانين حماية الشارة الإنسانية!
حزت في نفسي عبارة «لا نستطيع تحمل مسؤوليتك»، شخصي الورقية أرشد مني، بقيت هناك لتواسي الحية، أما أنا فابعد نقطة أستطيع الوصول إليها هي نقطة الحدود السورية - اللبنانية حيث تسهم في نقل المعونات الإنسانية، ونيسر أحوال النازحين.
كنت أسترجع عبارة صديق آخر قال بأن كروايتي حصة سينا إذ صدرت وقت حرب، حين تلقيت إشارة من ذلك الزميل في المنظمة الإنسانية:
في سيارة الإسعاف ذات الرقم... التي تستص في حدود ساعة لك أمانة.
كنت واقفة على الحدود في عملية لم تشمل للعائلات النازحة حينما

شها العجيلي *

■ على قلق، كان الريح تحسني،
انتظرت صدور روايتي «عين الهر»
شهوراً طويلاً، وطول المدة هذا سببه
إسمراري على أن تصعد في
بيروت، لأن العمل الذي لا يحمل اسم
بيروت مكاناً للإصدار يقتضه جلال
الحرية.

حينما هاتفتي الأصدقاء هناك
ليزفوا الي يشرى ولادة روايتي، التي
تقوها في بيروت قبلي، واحببوا
نصاً مطبوعاً كاملاً قبلي، لم أكن أفكر
سوى بالوضات الأولى التي حدثتني
على الكتابة، مستدعية ومضات
جديدة قد زدن نص جديد أبداً
الشغل عليه، ولم أكن أعلم لحظتها أن
الوضات كانت حمماً وقد فلت جعل
نصي الأول شهيداً ليس أعز من

بيروت تحترق..

كالذباب...
الرائحة العفنة تزكمه فيم يد المرتعشة
لتغلبية أنه، كم مضى عليه من وقت فاقدنا
لوعي؟! لا يمكنه

جده، تلك جثة جارهم، وتلك التي يغيبها
الجبر جثة أخيه، بقايا جثث محترقة
وأطراف اجثث من اجساد سكتتها
الشيخوخة والخيانة.. والهزيمة.
لم يفهم أحد سر هذه القنابل
الضوئية، لكنهم كلهم لزموا ديارهم
احتياطاً من غدر محتمل. تحلقت
الأسر على بقايا كرامتها
واحتضنت الأمهات
صغارها إلى صدور
ترتجف وجلا
وترقب ما بدأ
لللك كأنه
النهاية المحتومة أو
المذبحة الأخيرة.
لم يعض وقت حتى غزا
سمعهم هدير الدبابات
وسيارات الجيب العسكرية.. عندها
أحس الجميع أنهم ضيوف في حفلة
الموت.

بدأت البيوت تنهار والأجساد
تنهار.. الخناجر تيقر البطون
وتفصل الرؤوس، المرتزقة
صاروا يرقصون على صراخ
وعويل الأجساد المتساقطة
كالذباب.. ربه أصبحوا
يتساقطون كالذباب!
الجنون والصرخ يكاد يفجر رأسه.. يسير
متهالكا خارجاً من تحت الركام.. الدمار عم
كل المكان. الأجساد المحترقة مرمية في كل
الأحشاء ملقاة في كل الأرجاء.. هذه جثة



قومي من تحت الموج الأزرق، يا عشتار
قومي كقصيدة ورد...
أو قومي كقصيدة ناز
لا يوجد قبلك شيء.. بعدك شيء.. مثلك
شيء..

(نزار قباني)

سحب الغبار تغطي المكان وصمت تام
غلف الأجواء.. سعال خفيف ويد صغيرة
تمتد من تحت الركام.. جسد منهك بالجراح
ينهض من تحت الرمام.. وجه ملائكي
شوهته الجراح وعين بريئة تلقت حولها
برعب، وإنهاك.

صراخ أمه ما زال يطئن في أنفه مع
هدير الدبابات والانفجارات: اهرب يا
بني.. اهرب، وتغلبها الدموع قبل أن ينهار
عليها جدار البيت أمام نظراته الحبلى
بالدهشة.

الشمس غربت فربما ديدنها كل يوم وخيم
ذاك اللون المميز لاحتراق النهار. كان هو
يلعب مع رفاقه مثل العادة، منغمساً في
مرح الأطفال البري، لك عن غير العادة
انطلقت من حدود الخيم قنابل إلى
السماء.. عرف من ضوئها الشمع أنها قنابل
ضوئية، لكنه لم يفهم لم يستعملها العدو
الآن. لا أحد من سكان المخيم فهم الأمر.

الطنين والصرخ يكاد يفجر رأسه.. يسير
متهالكا خارجاً من تحت الركام.. الدمار عم
كل المكان. الأجساد المحترقة مرمية في كل
الأحشاء ملقاة في كل الأرجاء.. هذه جثة